

الواعظ

يقول سبحانه :

﴿ اذْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (١).

لقد جعل الله سبحانه من وسائل الدعوة إليه : الموعظة الحسنة .
ويقول تعالى عن القرآن الكريم :

﴿ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٢).

ويقول تعالى :

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ ﴾ (٣).

ويقول تعالى :

﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُعْظَمَ بِهِ ﴾ (٤).

فالقرآن الكريم موعظة من الله لعباده، وهو سبحانه يعظ عباده بالقرآن الكريم .

(١) سورة النحل : ١٢٥ .

(٢) سورة المائدة : ٤٦ .

(٣) سورة يونس : ٥٧ .

(٤) سورة البقرة : ٢٣١ .

ولقد حثَّ الله سبحانه على الوعظ ، بل حثَّ على الوعظ حتى في الحالات التي لا أمل فيها، وجعل الوعظ في هذه الحالات معذرة إليه سبحانه ، وإنه يقول :

﴿ لِمَ تَعْظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْتُونَ ﴾ (١).

ولقد وعظ القرآن بالقصص ، وتضمَّن القصص القرآني الكثير من المواعظ ، وبين الكوارث التي حاقت بالأمم التي لم تستجب للموعظة في تصحيح العقيدة ، أو التي لم تستجب للموعظة في التزام مكارم الأخلاق :

- لقد أغرق الله قوم نوح لشركهم .
- ودمر قوم لوط لشذوذهم .
- وخسف بقارون لرجسه .
- وأباد قوم شعيب ؛ لأنهم طغفوا الكيل والميزان وبخسوا الناس حقوقهم .

ويقول سبحانه عن القصص القرآني :

﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ ﴾ (٢).

وأحسن القصص هو القصص المليء بالحكمة والعظة والعبر . ولكن القرآن وعظ - أيضاً - بالأسلوب المباشر ، ومواعظه في هذا المجال كثيرة مستفيضة :

(١) سورة الأعراف : ١٦٤ . (٢) سورة يوسف : ٣ .

إن القرآن موعظة . .

والموعظة قسم من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو جزء من الجهاد في سبيل الله . .

ومن أجل ذلك اهتم الصوفية به ، فكانوا وعظاً بألسنتهم ، وكانوا وعظاً بسمتهم ، وكانوا وعظاً بسلوكهم ، وكانت حياتهم وعظاً وهداية للآخرين .

ولقد استفاض ذو النون فيما يتعلّق بالوعظ ، وكانت له مواعظ بلغت في السموّ حداً بعيداً ، وفيما يأتي بعض مواعظه :

« مَنْ نَظَرَ فِي عِيُوبِ النَّاسِ عَمِيَ عَنِ عِيُوبِ نَفْسِهِ . وَمَنْ عُنِيَ بِالْفِرْدُوسِ وَالنَّارِ شَغِلَ عَنِ الْقَيْلِ وَالْقَالِ . وَمَنْ هَرَبَ مِنَ النَّاسِ سَلِمَ مِنْ شَرِّهِمْ ، وَمَنْ شَكَرَ زَيْدَ لَهُ » .

وقال :

« حَقِيقَةُ السَّخَاءِ أَلَّا تَلُومَ الْبَخِيلَ فِي مَنَعِهِ إِيَّاكَ يَوْمًا ، لِأَنَّكَ إِنْ لُمْتَهُ وَاسْتَفْلَتَ بِهِ ، فَذَلِكَ لَوْ قُوعَ مَا مَنَعَكَ فِي قَلْبِكَ . وَلَوْ هَانَ ذَلِكَ عَلَيْكَ لَمْ تَشْتَغَلْ بِلُومِهِ » . . ثم أنشأ يقول :

كَرِيمٌ كَصَفْوِ الْمَاءِ لَيْسَ بِبَاخِلٍ بِشَيْءٍ وَلَا مُهْدٍ مَلَامًا لِبَاخِلٍ

وأوصى رجلاً فقال له :

« لَا تَكُنْ حَصْمًا لِنَفْسِكَ عَلَى رَبِّكَ تَسْتَزِيدُ فِي رِزْقِكَ وَجَاهِكَ ، بَلْ كُنْ حَصْمًا لِرَبِّكَ عَلَى نَفْسِكَ ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجْتَمِعُ مَعَهَا عَلَيْكَ .. وَلَا تَلْقَيْنَ أَحَدًا بَعِينَ الْأَزْدَرَاءِ وَالتَّصْغِيرِ - وَلَوْ مُشْرِكًا - خَوْفًا مِنْ عَاقِبَتَيْكَمَا ؛ فَلَئِكَ تُسَلِّبُ الْمَعْرِفَةَ وَيُرْزُقُهَا » .

وقال :

« مَنْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِمَا فِيهِ تَلَفُ نَفْسِهِ ؛ حَفِظَهَا عَلَيْهِ » .

وقال :

« الصِّدْقُ سَيْفُ اللَّهِ ، مَا وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا قَطَعَهُ » .

وقال :

« لَا تَشْغَلَنَّكَ عِيُوبُ النَّاسِ عَنْ عِيُوبِ نَفْسِكَ فَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِرَقِيبٍ » .

وقال :

« الحَسَدُ دَاءٌ لَا يَبْرَأُ ، وَحَسَبُ الحَسُودِ مِنَ الشَّرِّ مَا يَلْقَاهُ » .

وقال :

« مَنْ قَنَعَ اسْتِرَاحَ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَاسْتَطَالَ عَلَى أَقْرَانِهِ » .

وقال :

« يَأْتِي زَمَانٌ تَكُونُ الدَّوْلَةُ فِيهِ لِأَهْلِ الدُّنْيَا عَلَى أَهْلِ الآخِرَةِ » .

وقال :

« العَاقِلُ يَعْتَرِفُ بِذَنْبِهِ ، وَيَجُودُ بِمَا لَدَيْهِ ، وَيَزْهَدُ فِيمَا عِنْدَهُ ، وَيَكْفُ

أَذَاهُ ، وَيَتَحَمَّلُ أَذَى غَيْرِهِ » .

وقال :

« الكَيْسُ مِنْ بَادِرِ بَعْمَلِهِ ، وَسَوْفَ بِأَمَلِهِ ، وَاسْتَعَدَّ لِأَجَلِهِ » .

وقال :

« كَيْفَ أَفْرَحَ بِعَمَلِي ، وَذُنُوبِي مَزْدَحْمَةٌ ؟ ! .. أَمْ كَيْفَ أَفْرَحَ بِعَمَلِي ،

وَعَاقِبَتِي مُبْهَمَةٌ ؟ ! » .

وقال :

« العِزُّ الَّذِي لَا ذُلَّ فِيهِ : سَكُوتُكَ عَنِ السَّفِيهِ .. عَطْبُ السَّفِيهِ بِيَدِهِ

وَفِيهِ » .

وقال فى ختام كلامه يوماً :

« وَلِمَ لا تذوب أبدانُ العَمَّالِ وتذهلُ عقولهم ، والعَرَضُ على الله أمامهم ، وقراءة كتبهم بين أيديهم ، والملائكة وقوفٌ بين يدي الجبَّار ينتظرون أمره فى الأخيار والأشرار ؟! » ..

ثم قال :

« مَثَّلُوا هذا فى نفوسهم ، وجعلوه نُصَبَ أعينهم » .

وقال :

« قلوب أهل الهوى سجون البلاء .. فإذا أراد الله أن يعذبَ البلاء حبسه فى قلوب أهل الهوى، فيصيح إلى الله بالاستغاثة والخروج من قلوب أهل الهوى » .

وقال :

« طُوبَى لمن تطهَّرَ ولزِمَ الباب .. طُوبَى لمن تَضَمَّرَ للسباق .. طُوبَى لمن أطاع الله أيام حياته » .

وقال :

« حَقُّ الجليس أن تُسرَّه ، فإن لم تُسرَّه فلا تُسؤُه ، لم يكسبَ محبة الناس فى هذا الزمان إلا رجلٌ خَفَّفَ المئونة عليهم ، وأحسنَ القول فيهم وأطابَ العشرة معهم » .

وقال له رجل : أوصنى ..

فقال :

« بِمِ أوصيك ؟ .. إن كنتَ ممن قد أُيدَ منه فى علم الغيب بصدق التوحيد، فقد سبق لك - من قبل أن تُخلق إلى يومنا هذا - دعاء النبیین والمرسلين والصدِّيقين ، وذلك خير لك من وصيَّتى لك ، وإن يكن غير ذلك فلن ينفعك النداء » .

وعن أحمد بن الحسن الزاهد، قال :
كان مكتوباً على عكاز ذى النون :

« لا يومك ينساك .. ولا رزقك يعُدُّوك .. ومن يرغبُ إلى الناسِ يكنُ
للناسِ كالمملوكِ » .

وقال ذو النون :

« إذا اطَّلَعَ الخبيرُ على الضميرِ ، فلم يجد في الضميرِ غيرَ الخيرِ ؛
جعل فيه سراجاً منيراً » .

وقال :

« من المحال أن يحسُنَ الظنُّ ولا يحسُنَ منه المنُّ » .

وقال :

« كيف أفرح بعملى ، وذنوبى مزدحمة ؟! .. أم كيف أفرح بعملى ،
وعاقبتى مبهمة ؟! » .

وقال :

« ما أخاف عليكم مُنَعُ الإجابة ، إنما أخاف عليكم مُنَعُ الدعاء » .

وسأله رجل فقال :

-رحمك الله . . ما الذى أنصَبَ العبادَ وأضناهم ؟

فقال :

« ذكُرُ المقامِ ، وقَلَّةُ الزادِ ، وخَوْفُ الحسبِ » .

وقال أبو عصمة :

كنت عند ذى النون ، وبين يديه فتى حسن يُملى عليه شيئاً ، قال :
فمررت امرأة ذات جَمالٍ وخَلقٍ ، قال : فجعل الفتى يسارق النظر
إليها . قال : ففَطِنَ ذُو النونِ فَلَوَى عُنُقَ الفتى ، وأنشأ يقول :

دَعِ الْمَصُوعَاتِ مِنْ مَاءِ وَطِينٍ وَاشْغَلْ هَوَاكَ بِحُورِ عَيْنٍ

وقال :

« مَنْ وَجَدَ خَمْسَ خِصَالٍ: رَجَوْتُ لَهُ السَّعَادَةَ. وَلَوْ قَبْلَ مَوْتِهِ بِسَاعَةٍ: اسْتَوَاءَ الْخَلْقِ، وَخِفَّةَ الرُّوحِ، وَغِزَارَةَ الْعَقْلِ، وَصَفَاءَ التَّوْحِيدِ، وَطِيبَ الْمَوْلِدِ ».

وقال ذو النون :

« إِنْ لِلَّهِ خَالِصَةٌ مِنْ عِبَادِهِ . وَنُجْبَاءٌ مِنْ خَلْقِهِ . وَصَفْوَةٌ مِنْ بَرِيئَتِهِ ، صَحَبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانِهِمْ ، وَأُرْوَاهُمْ فِي الْمَلَكُوتِ مَعْلُوقَةً . أُولَئِكَ نُجْبَاءُ اللَّهِ مِنْ عِبَادِهِ ، وَأَمْنَاءُ اللَّهِ فِي بِلَادِهِ ، وَالدَّعَاةُ إِلَى مَعْرِفَتِهِ . وَالْوَسِيلَةُ إِلَى دِينِهِ .

هِيَئَاتِ .. بَعُدُوا وَقَاتُوا . وَوَارَتْهُمُ بَطُونُ الْأَرْضِ وَفَجَّأَهَا .. عَلَى أَنَّهُ لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ فِيهَا بِحُجَّتِهِ عَلَى خَلْقِهِ : لِئَلَّا تَبْطَلَ حُجْجُ اللَّهِ » .

ثم قال :

« وَأَيْنَ ؟ .. أُولَئِكَ قَوْمٌ حَجَبَهُمُ اللَّهُ عَنْ عِيُونِ خَلْقِهِ . وَأَخْفَاهُمْ عَنْ آفَاتِ الدُّنْيَا وَفِتْنَتِهَا . أَلَا وَهُمْ الَّذِينَ قَطَعُوا أَوْدِيَةَ الشُّكُوكِ بِالْيَقِينِ ، وَاسْتَعْلَنُوا عَلَى أَعْمَالِ الْفِرَائِضِ بِالْعِلْمِ ، وَهَرَبُوا مِنْ وَحْشَةِ الْغَفْلَةِ ، وَتَسَرَّبَلُوا بِالْعِلْمِ لِاتِّقَاءِ الْجِهَالَةِ ، وَاحْتَجَزُوا عَنِ الْغَفْلَةِ بِخَوْفِ الْوَعِيدِ ، وَجَدُّوا فِي صِدْقِ الْأَعْمَالِ لِإِدْرَاكِ الْقُوْتِ ، وَخَلَّوْا مِنْ مَطَامِعِ الْكُذْبِ وَمَعَانِقَةِ الْهَوَى ، وَقَطَعُوا عُرَى الْارْتِيَابِ بِرُوحِ الْيَقِينِ ، وَجَاوَزُوا ظُلْمَ الدُّجَى ، وَدَحَضُوا حُجْجَ الْمُبْتَدِعِينَ بِاتِّبَاعِ السَّنَنِ ، وَبَادَرُوا إِلَى الْإِنْتِقَالِ

عن المكروه قبل فوات الإمكان ، وسارعوا في الإحسان تعويضاً عن الإساءة ، ولآقوا النعم بالشكر ؛ استجاباً لمزيده ، وجعلوه نُصْبَ أعينهم عند خواطر الهَمِّ وحركات الجوارح ، من زينة الدنيا وغرورها ، فزهّدوا فيها عياناً ، وأكلوا منها قصداً ، وقدموا فضلاً وأحرزوا ذخراً ، وتزوّدوا منها بالتقوى ، وشمروا في طلب النعيم بالسير الحثيث ، والأعمال الزكية ، وهم يظنون .. بل لا يشكّون أنهم مقصرون ، وذلك أنهم عَقَلُوا فَعَرَفُوا ، ثم اتَّقَوْا ، وتفكّروا فاعتبروا : حتى أبصروا ، فأمسكوا ألسنتهم عن الكلام من غير عِيٍّ خوفاً من التزيّن فيسقطوا من عين الله ، فأمسكوا مع عقول صحيحة ، ويقين ثابت ، وقلوب شاكرة ، وألسنٍ ذاكرة ، وأبدانٍ صابرة ، وجوارحٍ مطيعة .

أهل صدق ونصح ، وسلامة وصبر ، وتوكلٌ ورضاً وإيمان .

عَقَلُوا عن الله أمره ، فشغلوا الجوارح فيما أمروا به من طاعة وذكر وحياء وقطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق ، وهجروا الهوى بدلالات العقول ، وتمسّكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن ، ولهم في كل إشارة منها دمة ولذة ، وفكرة وعبرة ، ولهم مقام على المزيد للزيادة ، فرحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين .

قال : وسمعت ذا النون يقول :

« إياك أن تكون في المعرفة مُدَّعِيًّا ، وتكون بالزهد محترفاً ، وتكون بالعبادة متعلِّقاً » .

فقل له : يرحمك الله ، فَسَّرْ لَنَا ذَلِكَ .

فقال :

« أَمَا عَلِمْتَ أَنْكَ إِذَا أَشْرْتَ فِي الْمَعْرِفَةِ إِلَى نَفْسِكَ بِأَشْيَاءٍ وَأَنْتَ مُعَرَى مِنْ حَقَائِقِهَا كُنْتَ مَدْعِيًا ، وَإِذَا كُنْتَ فِي الزَّهْدِ مُوصُوفًا بِحَالَةٍ وَبِكَ دُونَ الْأَحْوَالِ كُنْتَ مُحْتَرَفًا ، وَإِذَا عَلَّقْتَ بِالْعِبَادَةِ قَلْبَكَ وَظَنَنْتَ أَنَّكَ تَنْجُو مِنَ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ ، لَا بِاللَّهِ ، كُنْتَ بِالْعِبَادَةِ مُتَعَلِّقًا لَا بِوَلِيِّهَا وَالْمُنَّانَ عَلَيْكَ » .

وعن الشمشاطي ، قال : سمعت ذا النون يقول :

« أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - :

يَا مُوسَى ، كُنْ كَالطَّيْرِ الْوَحْدَانِيِّ يَأْكُلُ مِنْ رَعْوَسِ الْأَشْجَارِ ، وَيَشْرَبُ مِنَ الْمَاءِ الْقَرَّاحِ ، إِذَا جَبَّهَ اللَّيْلَ أَوْى إِلَى كَهْفٍ مِنَ الْكُهُوفِ ، اسْتَنْاسًا بِي ، وَاسْتِيحَاشًا مِمَّنْ عَصَانِي .

يَا مُوسَى ، لَا قَطْعَنَّ أَمَلُ كُلِّ مُؤْمِلٍ يُؤْمَلُ فِي غَيْرِي ، وَلَا قِصْمَنَّ ظَهْرُ مَنْ يَسْتَنْدُ إِلَى سِوَايَ ، وَلَا طِيلَنَّ وَحْشَةٌ مِنْ اسْتَانَسَ بِغَيْرِي ، وَلَا عَرْضَنَّ عَمَّنْ أَحَبَّ حَبِيبِيَا سِوَايَ .

يَا مُوسَى ، إِنَّ لِي عِبَادًا إِنَّ نَاجُونِي أَصْغَيْتُ إِلَيْهِمْ ، وَإِنْ نَادُونِي أَقْبَلْتُ عَلَيْهِمْ ، وَإِنْ أَقْبَلُوا عَلَيَّ أَدْنَيْتُهُمْ ، وَإِنْ دَنُوا مِنِّي قَرَّبْتُهُمْ ، وَإِنْ تَقَرَّبُوا مِنِّي اكَتَنَفْتُهُمْ ، وَإِنْ وَالُونِي وَالَيْتُهُمْ ، وَإِنْ صَافُونِي صَافَيْتُهُمْ ، وَإِنْ عَمَلُوا لِي جَازَيْتُهُمْ .

هَمُّ فِي حِمَايَ ، وَبِي يَفْتَخِرُونَ ، وَأَنَا مُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ ، وَأَنَا سَائِسُ قُلُوبِهِمْ ، وَأَنَا مُتَوَلِّ أَحْوَالِهِمْ ، لَمْ أَجْعَلْ فِي قُلُوبِهِمْ رَاحَةً فِي شَيْءٍ إِلَّا فِي ذِكْرِي ، فَذَكْرِي لِأَسْقَامِهِمْ شِفَاءٌ ، وَعَلَى قُلُوبِهِمْ ضِيَاءٌ ، لَا يَسْتَانَسُونَ إِلَّا بِي ، وَلَا يَحِطُونَ رِحَالَ قُلُوبِهِمْ إِلَّا عِنْدِي ، وَلَا يَسْتَقِرُّ قَرَارُهُمْ فِي الْإِبْوَاءِ إِلَّا إِلَيَّ » .

ثم قال ذو النون :

« هُمْ - يا أخى - قوم قد ذُوبَ الحزن أكبادهم ، وأُنْحَلَ الخوفُ أجسامهم ، وَغَيَّرَ السهرُ ألوانهم ، وأقلقَ خوفُ البعثِ قلوبهم ... قد سكنتُ أسرارهم إليه ، وتذللْتُ قلوبهم عليه ، فنفوسهم عن الطاعة لا تَسْلُو ، وقلوبهم عن ذكره لا تَخْلُو ، وأسرارهم فى الملكوت تعلو .
الخشوع يخشع لهم إذا سكتوا ، والدموع تخبر عن حَفَى حُرْقَتهم إذا كمدوا ، قد نسوا مرح الشهوات بحلاوة المناجاة ، فليس للغفلة عليهم مَدْخَلٌ ، ولا للهو فيهم مَطْمَعٌ ، قد حجب التوفيق بينهم وبين الآفات ، وحالت العصمة بينهم وبين اللذات ، فيا طُوبَى للعارفين ، ما أغنى عيشهم ، وما ألدَّ شربهم ، وما أجَلَّ حبيبهم » .

وقال ذو النون :

« إن لله خالصة من عباده ، ونجباء من خَلْقِهِ ، وصفوة من بريته ، صحبوا الدنيا بأبدانهم ، وأرواحهم فى الملكوت معلقة .. أولئك نجباء الله من عباده ، وأمناء الله فى بلاده ، والدعاة إلى معرفته ، والوسيلة إلى دينه .

هِيَهَات .. بَعُدُوا وفاتوا ، وَوَارَتْهُمُ بطونُ الأرضِ وفجأها .. على أنه لا تخلو الأرضُ مِنْ قائمٍ فيها بحُجَّتِهِ على خَلْقِهِ : لئلا تبطل حُججُ الله » .

ثم قال :

« وأين؟! .. أولئك قوم حَجَبَهُمُ الله عن عيون خَلْقِهِ ، وأخفاهم عن آفات الدنيا وفتنها ، ألا وهم الذين قطعوا أودية الشكوك باليقين ، واستعانوا على أعمال الفرائض بالعلم ، وهربوا من وحشة الغفلة ،

وتسربلوا بالعلم لانتقاء الجهالة، واحتجزوا عن الغفلة بخوف الوعيد، وجدّوا في صدق الأعمال لإدراك الفوت . وخلوا عن مطامع الكذب ومعانقة الهوى ، وقطعوا عرى الارتباب بروح اليقين ، وجاوزوا ظلم الدجى، ودحضوا حجج المبتدعين باتباع السنن . وبادروا إلى الانتقال عن المكروه قبل فوت الإمكان ، وسارعوا في الإحسان : تعويضاً عن الإساءة ، ولاقوا النعم بالشكر : استجاباً لمزيده ، وجعلوه نُصباً أعينهم عند خواطر الهمم وحركات الجوارح من زينة الدنيا وغرورها ، فزهّدوا فيها عياناً ، وأكلوا منها قصداً ، وقدموا فضلاً وأحرزوا ذخراً ، وتزوّدوا منها بالتقوى ، وشمروا في طلب النعيم بالسير الحثيث ، والأعمال الزكية ، وهم يظنون .. بل لا يشكّون أنهم مقصرون ، وذلك أنهم عقلوا فعرفوا ، ثم اتقوا وتفكروا ، فاعتبروا : حتى أبصروا ، فأمسكوا السننهم عن الكلام من غير عي خوفاً من التزيّن فيسقطوا من عين الله ، فأمسكوا مع عقول صحيحة ، ويقين ثابت . وقلوب شاكرة ، وألسن ذاكرة ، وأبدان صابرة ، وجوارح مطيعة.

أهل صدق ونصح ، وسلامة وصبر، وتوكل ورضاً وإيمان.
 عقلوا عن الله أمره فشغلوا الجوارح فيما أمروا به من طاعة وذكر وحياء ، وقطعوا الدنيا بالصبر على لزوم الحق ، وهجروا الهوى بدلالات العقول ، وتمسكوا بحكم التنزيل وشرائع السنن ، ولهم في كل إشارة منها دعة ولذة، وفكرة وعبرة ، ولهم مقام على المزيد للزيادة ، فرحمة الله علينا وعليهم وعلى جميع المؤمنين والصالحين .
 وقال ذو النون :

« معاشره العارف كمعاشره الله: يَحْتَمِلُ عنكَ، وَيَحْتَلِمُ عَلَيْكَ، تَخَلُّقاً بأخلاق الله الجميلة . »

وقال :

« أهل الذمّة يُحملون على الحال المحمودة والمباح من الفعل ، فما الفرق بين الذمّي والحنيفي ؟.. الحنيفي أولى بالحلم والصّفح والاحتمال . »

وعن غيلان المذكر ، قال :

« أخبرني ذو النون أن الناس على ثلاثة مقامات في الدنيا:

* قوم اشتغلوا بمعادهم عن معاشهم.

* وقوم اشتغلوا بمعاشهم ومعادهم.

* وقوم اشتغلوا بمعاشهم عن معادهم.

- فأما من اشتغل بمعاشه عن معاده فمقامه مقام الهالكين.

- وأما من اشتغل بهما فمقامه مقام المخلصين.

- وأما من اشتغل بمعاده عن معاشه فهو من العارفين . »

وعن يوسف بن الحسين ، قال : سمعت ذا النون يقول :

« لله عباد تركوا الذنب استحياء من كرمه ، بعد أن تركوه خوفاً من عقوبته، ولو قال لك: اعمل ما شئت فلست أخذك بذنب . كان ينبغي أن يزيدك كرمه استحياء منه ، وتركاً لمعصيته ، إن كنت حراً كريماً عبداً شكوراً ، فكيف وقد حدّرك ؟! » .

وعن سليم بن موسى ، قال : قال ذو النون :

« إن حقوق الله أثقل من أن يقوم بها العباد ، وإن نعم الله أكثر من أن يحصيها العادّ ، ولكن أصبحوا توابين وأمسوا توابين » .

وقال ذو النون :

« الدنيا دَنِيَّةٌ ، وحبها خطيئة ، والدُّنُوُّ منها بَلِيَّةٌ ..الدنيا يكفى صِفَتُها
مَنْ وَصَفَهَا ، وإنما يَعْتَبِرُ بها مَنْ عَرَفَهَا .. مَنْ طَلَبَ الدنيا سَبَقَتْه ، وَمَنْ
هَرَبَ منها لَحِقَتْه ، وَمَنْ عَصَى الدنيا أَطَاعَتْه ، وَمَنْ أَطَاعَهَا عَصَتْه ..
الدنيا فاعلةٌ بك ما فعلتُ بأبيك ، وزائلةٌ عنك كما زالتْ عن أخيك » .

وقال يوسف :

قلت لذي النون في وقت مفارقتي له :

- مَنْ أَجَالِسُ ؟

قال :

« عليك بصحبة مَنْ تُذَكِّرُك بالله رؤيته .. وتقع هيبته على باطنك ..
ويزيد في عملك مَنْطِقَهُ .. ويزهّدك في الدنيا عَمَلَهُ .. ولا يعصى الله
ما دمت في قُربهِ .. يَعِظُكَ بِلِسَانِ فِعْلِهِ .. ولا يَعِظُكَ بِلِسَانِ قَوْلِهِ » .

* * *